

النقد

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الألباء للدكتور عبد الوهاب عزام

كأن للأستاذ محمود مصطفي أرباً في أن يصدّقني عن نقد معجم الألباء ، أو مصلحة في أن يحسب من المجادلين عن ناشري الكتاب . فهو لا يألو جهداً في أن يشغلي بمناقشة غير سديدة نشرت « الرسالة » للأستاذ ردة في سبمة ما أخذ مما أخذته على المعجم في مقال الأول ، ثم طلع على الناس في جريدة المصري بمقال قال فيه :

« فقد كانت المأخذ عشرة فما زال بي (يعني صاحب الرسالة) حتى نزلت له عن اثنين فيها . فلما حاول أن أنزل له عن ثالث لم أقبل فنظاهم بالرضى عن نشره ، ولكنه حين خلا بنفسه حذف ذلك المأخذ ، وما كنت أحب أن يكون منه ذلك . والأعجب من هذا أني حين ناقشته بمد ظهور المجلة في أمر هذا الحذف كان جوابه أن الدكتور عزاماً لم يرض عن نشره »^(١)

وأنا أعرف أن الزيات نصح الأستاذ أن يحذف جداله في بعض الكلمات تنزيهاً له وللرسالة عن اللغول إشفافاً من حججه الدامغة . وقد أبا الأستاذ إلا أن ينشر على الناس المأخذ الثلاثة التي نصحه الزيات بحذفها ؛ وليس أدل على نصح صاحب الرسالة ، ولا أدمغ لحجة الأستاذ محمود من نشر هذه الكلمات

١ - قال الأستاذ إن مرو الشاهجان ينبغي أن تكون بكسر الهاء . وهذه حجته : « إن التركيب إضافي في اللغة الفارسية ، ومعنى مفرداته هكذا . المرو = المرج . الشاه = الملك . جان = نفس أو روح . فالعنى على ذلك : صراج نفس الملك . والقاعدة في اللغة الفارسية أن جميع كلماتها مهيئة

(١) هكذا زعم الأستاذ محمود ! والله وحده يشهد أن ذاكرته عمته نفس ، أو أن لسانه أمثاله فاختلق . (وما كنت أحب أن يكون منه ذلك) (الرسالة)

الاعراب ملازمة السكون إلا في موضعين : الموصوف وأول المتضاميين فهما يكسران ، وذلك يعرفه من ألم أقل إلمام بهذه اللغة ، فن أجل ذلك كان كسر كلمة الشاه واجبا . . . ويظهر أن لهذا المأخذ شأنًا خاصاً إذ كان هجومًا فانتصارًا من أعزل مثلي (لم يجلس إلى معلم الفارسية إلا شهرًا أو شهرين) على عالم جليل يفوق أهل اللغة علماء بأسرارها . فهذا ما حدا بصديقه الأستاذ الزيات إلى تحطيه التقليد الواجب في مثل هذا المقام »^١

وأقول إن للكتاب محناً ، وأشدها على أنفسهم أن يضطروا إلى الجدل في الصفائر وأن يرجعوا القهقري إلى عهد الكتاب إن تفسير مرو الشاهجان بما فسره الأستاذ منقول من معجم البلدان ، وقد قرأته منذ أمد بعيد وعدده من هذيان يا قوت في تفسير أسماء البلدان . كالذي يقوله عامة مصر في تفسير الفيوم بألف يوم ، والبدرشين بقول يوسف الصديق حين رأى زليخا عجوزاً : أصبح البدرشين الخ

والصواب : أن مرو الشاهجان تريب مرو شاهكان ، أي مرو الشاهية . وتفسير هذا لا يفهمه من درس الفارسية شهرًا أو شهرين

ولو سئمت للأستاذ هذه الخرافة ما بلغت به غايته ، فن (ألم أقل إلمام) بالفارسية يعلم أن القاعدة التي ذكرها الأستاذ غلط . ولو أنه (جلس إلى معلم الفارسية شهرًا أو شهرين) لعرف أن المضاف إذا تقدم بكسر ، فإذا عكست الإضافة وتقدم المضاف إليه لم يكسر ، مثل عالشاه وجهان شاه وخوانسلار وهلم جرا . ومقتضى خرافة يا قوت التي تبمه فيها الأستاذ أن شاهجان معناه روح الملك فالمضاف إليه مقدم ، فيجب أن يقال : شاهجان باسكان الهاء ، وهذا الضبط مروى أيضاً

هذا جدال الأستاذ في الفارسية ، فلننظر أ كان أقوم رأياً فيما يرجع إلى العربية وآدابها والاسلام وتاريخه

٢ - في ص ٢٩ ج ٢ من المعجم : « لأن المهلب مات بمسكان » وفي الحاشية : عمان بلد في أطراف الشام . قلت

ما تقضى به بدائه النحو

والأستاذ في هذا ملهم وممدور ؛ ملهم بما حسبني قرأت
الجملة كما قرأها فلم أهدأ إلى أن « فيهم » خير مقدم و « جمال »
مبتدأ مؤخر . وكان عليه أن يفرض أن لي وراء هذه البدائه
النحوية نظراً دقيقاً في الجملة عدل بي عن رفع الكلمات إلى نصبها ،
وكان عليه إذ لم يبين له قصدي أن يستوضحني ثم يجادل . وأما أنه
ممدور فلأنني لم أكتب الجملة كلها مصححة وكان يلزمي أن أعيدها
كلها على هذه الشاكلة : « نهم فوق ما وصف حسن عشرة الخ »

ولكن حرصي على الاجتزالي في نقدي كله أفانني هذا البيان

وانظر ما الذي دعاني إلى تخطيط الجملة كما ضبطت في الكتاب :

لو أني اكتفيت بقراءة الجملة وحدها أو قراءة رسالة الخوارزمي .

كلها لما أدركت الصقم في هذه العبارة ، ولكن قرأت رسالة

البديع التي أجب عنها الخوارزمي فأدركت الخطأ والصواب .

وبيان هذا أن البديع كتب إلى الخوارزمي ينقم عليه سوء لغائه

ويصف قومه في همدان بأوصاف هي في مضمونها حسن الفشرة .

وسداد الطريقة الخ . وأجاب الخوارزمي معترفاً بأن قوم البديع

أو أهل همدان فيهم هذه الأوصاف : حسن عشرة الخ فلا يمكن

أن يكون معنى جملة الخوارزمي : إن قومك فيهم فوق ما وصفت :

حسن عشرة الخ لأن هذه الأوصاف ليست زائدة على ما وصف

البديع ، بل هي خلاصة وصفه ، ويجب أن يكون مراد الخوارزمي

أن القوم فيهم من حسن الفشرة الخ فوق ما وصف البديع ، وهذا

لا يستقيم مع الجملة التي في الكتاب فالصواب ما رأيت . ويؤيد

هذا رواية رسائل البديع المطبوعة في بيروت : فأما القوم الذين

صدر عنهم شدي فكذا وصف حسن عشرة وسداد طريقة الخ »

فهل يرى الأستاذ بمد هذا أنها غفلة عن بدائه النحو أو نظير دقيق

وراء النحو والصرف لا يدركه إلا الموفقون لأذراك دقائق البيان ؟

هـ - جاء في الكتاب « وكان مفتياً في علوم شتى » قالت :

الصواب متفتناً . وقال الأستاذ مفتناً . فقد وافقني على خطأ

الكتاب . وأنا أفرض أن مفتناً أصح من متفتن . ولكننا

نبحث عن عبارة ياقوت ، وهو قد استعمل « متفتناً » في مواضع

منها ما في ص ٢٣٨ ج ٢ : وهو شاب فاضل بارع متفتن »

وقد استعملها الناشرون أنفسهم فقالوا : « كان غزيراً بالفضل . متفتناً

في العلوم (ص ١٠٧) فإن ادعى أنها حيث وجدت في الكتاب

مخرقة عن مفتن فليؤاخذ بها الناشرين حينئذ وجدها

الصواب : عثمان ، لأنني أعرف من تاريخ المهلب أنه مات بسنان

لا بسنان . فانظر كيف يجادل الأستاذ . يقول : يفهم من كلامي

أنني لا أعرف أن في الشام بلداً اسمه عثمان . كأن اشتغالي بأمور

السلين والعرب التاريخية والحاضرة ، وذهابي إلى الشام ثمان

مرات لم يعرفني أن في الشام بلداً اسمه عثمان ... الخ . والحمد لله

على أن أحداً غيره لم يفهم هذا من كلامي . ثم يقول : « فيثبت

بواسع علمه أن المهلب إنما مات بالتي على الخليج الفارسي (عثمان)

ولم يموت بالتي في الشام ، فأما مجرد التخطيط في الضبط فليس فيها

إفناع مادام للبلدين وجود في العالم العربي الذي كان المهلب يتولى

الوزارة فيه » اهـ

يا أستاذ ! المهلب مات بسنان ، ولا يحتاج إدراك هذا إلى

علم واسع فاقراً ترجمة المهلب في معجم الأدباء نفسه لتعرف أين

مات الرجل . كيف وأماننا النص القاطع نقول إن المهلب كان

وزيراً في البلاد العربية فحائر أن يكون مات في كل بلد عربي ؟

ولو لم نعرف بالنص أن الرجل مات بسنان أو عثمان لرجحنا

الأولى ، لأننا نعلم أن المهلب كان وزيراً لعز الدولة بن بويه ، وبني

بويه لم يمتد سلطانهم على عثمان قط . أرأيت أيها الأستاذ أن الزيات

نصحك ولم ينشك حين أشار عليك بالمدول عن الجدال في هذا ؟

٣ - جاء في الكتاب : « وأنفذت لشكرستان

صاحب الخ » فقلت الصواب لشكرستان ، فوق الأستاذ

موقف الحكم بخطي الناشر والناقد في ناحية ويصوب رأيهما

في أخرى - ولو عرف أن لشكرستان هنا اسم رجل لا مكان

لأراح نفسه من هذا العناء . فليخطئه نفسه ويسترح

٤ - ورد في الكتاب السري الرقاء - فقلت الصواب

تشديد الفاء . فقال الأستاذ إن الواحدة بهذه الشدة « شدة

متناهية » وأن الذنب في هذا على الطيبة - وأنا أقول لولا أن

الناشرين التزموا الشكل في كل حرف لما أخذتهم بهذا ، وقد

شكوا حروف الرقاء كلها فشددوا الراء وفتحوا الفاء هبتاً . فلم

يكن بد من أن أظن أن تخفيف الفاء مقصود . لأن من يشكل

ما لا يحتاج إلى شكل لا يترك ما يحتاج إليه إلا عمداً

٤ - وجاء في الكتاب من رسالة الخوارزمي إلى البديع :

« ففهم لعمرى فوق ما وصف حسن عشرة وسداد طريقة

وجمال تفصيل وجملة » فقلت الصواب أن ينصب حسن وما عطف

عليه على أنها تمييز - فقال الأستاذ ما قال : ورماني بأني لم أدرك

في الحاشية : اللجب الصوت والجلبة . ما عهدنا للبق لجبا ،
وإنما ذلك لليموض اه . أقول البق هو البعوض . ولا يعرف
البعوض في العراق اليوم إلا بهذا الاسم

ص ٨٩ - الشريحة كل قطعة من اللحم - والصواب
القطعة المرققة من اللحم

ص ٩٠ - الجمار الجزء الأبيض من طلع النخل - والجمار
ليس من الطلع وإنما هو قلب النخلة أو شحمها كما يقول اللغويون
واسأل أي عاى في مصر عن الجمار

ص ١٠٧ - ذكراهم الصابي في المتن . فأثبت الشارح في
الحاشية ترجمته في خمسة أسطر . وقد مضت قبل عشر صفحات
ترجمة الصابي في أربع وستين صفحة - كأن الشارح لا علم له
بما مضى في الكتاب - وفي الحاشية نفسها ترجمة للصاحب بن
عباد في ثمانية أسطر وستأتي ترجمته في خمس وأربعين ومائة صفحة

وفي حاشية ص ١٦١ ترجمة لسديع الزمان مختصرة من
ابن خلكان . وفي الصفحة نفسها تبتدىء ترجمة البديع في متن
الكتاب وتستغرق إحدى وأربعين صفحة

فليت شمري لم هذا الضئ ؟ أما كان يمكن إحالة القارىء
على التراجم للطولة في أما كتبها ؟

ص ١٨٤ - « وإنما يقتتل بالجل من لا يعرف قيمة الخيل »
وفي الحاشية الجل : السرج . وهذا غلط واضح إنما الجل ما تلبسه
الدابة ليصونها من برد أو حر

ص ١٨٥ - البارح الريح الحارة في الصيف تأتي من قبل
اليمين ، ولست أدري ما معنى اليمين هنا ؟ هل المراد ان هذه الريح
تدور مع الشخص كفيها دار فتأتيه عن يمينه ؟ أظن في هذا لبسا
بين البارح من الرياح والبارح من الحيوان

ص ٢٠٥ - « تكريت : بلدة مشهورة ... ولها قلعة حصينة
في طرفها الأعلى رابكة على دجلة غربيها » وهذا وصف تكريت
في الزمن القديم وكان ينبغي أن توصف تكريت الحاضرة أو يقال :
كانت الخ ولا يجوز أن توصف بلاد قائمة بأوصاف زالت عنها ،
وليس في تكريت اليوم قلعة حصينة في طرفها الأعلى

ص ٢٧٧ - في الكلام عن بعض الوزراء : « فكانت له
أفعال منكرة ، منها أنه استدعى الميادين وضمهم ما يسرقونه من
أموال الناس » . وفي الحاشية : ضمنه الشيء كقله به وأثره إياه اه
وهذا تفسير لا يصلح هنا . فلو أن هذا الوزير ألزم الميادين

ويعد فاني أحد للأستاذ غيرته في المجادلة عما يظنه صوابا ،
ولكني أود أن يتثبت ويثبم ظنه كثيرا وأن يجادل للحق
لا طلبا للزلف عند الناس . ثم أقول له خاتما : إني أربأ بالأستاذ
وبنفسى وبالقرءاء عن مثل ما جادل به في سرو الشاهجان ، وعمان ،
واشكرستان الخ ، فإن عاد الى المجادلة في أمثالها فليعدرنى إذا لم
يظفر منى بجواب وحسبى ما أضمت من وقتى في جداله
ثم أعود الى المعجم ، منجزاً ما وعدت به من نقد تعليق
الناشرين على الجزء الثاني :

سأجاوز عن شرح الديدميات مثل السخط : ضد الرضا .
والعواقب : جمع عاقبة آخر كل شيء . وسأترك شرح الفصول
فان الناشرين يقولون إنما يزيد أن نوضح الواضح وأن نستطرد
لأفادة القارىء كما يستطرد صاحبها الكامل والأمالى ولكل وجهة
ثم أعدد الآخذ الآتية :

ص ٣٠ - قول الصابي :
قَدَلْتُ دِيوانَ الرِّسائلِ فأنظروا أَعَدَلْتُ في لفظى عن التَّسديدِ
أَعلى رَفَعِ حِسابِ ما أنشأته فأقيم فيه أدلتي وشهودى
وفي الحاشية : « في هذا البيت لبس . ولعل حساب منونة
منمت من الصرف للضرورة وتكون ما نافية والمعنى حساب
ما أنشأته أو أن الأصل ما أنشيه » وليس في البيت لبس ولا
ضرورة . وحساب مضاف الى ما أى حساب الذى أنشأته .
والمعنى أيلزمنى أن أرفع إليكم حساب منشأتي كما يرفع صاحب
الخراج حساب الخ

ص ٣٨ - الكنف : الظل . وهذا تفسير مضلل للقارىء
الذى فرضنا أنه في حاجة الى إيضاح الواضح . والتجوز لا يبروغ
هذا الشرح ، بل الكنف الجانب والناحية الخ

ص ٤٠ - « فتبعتى بعض حجابه وعدل بي إلى بيت من داره »
وفي الحاشية : عدل إلى الشيء رجع . وهذا تفسير إن صح في بعض
الاستعمال لا يصح لتفسير الكلمة هنا . فهي هنا بمعنى مال وحاد
ص ٦٩ - العذار الشعر التذلى بجانب الأذن ؛ وهذا غلط .

فالشعر التذلى لا يسمى هذارا ، وإنما هو الشعر الثابت على جانبي الوجه
ص ٧٣ - الحائن : الأحمق . والذى نعرفه أن الحائن اسم
فاعل من الحمين أى الهلاك

ص ٧٤ - قول الصابي في وصف البق :
أحاط بي عسكراً للبق ذو لجب ما فيه إلا شجاع فانتك بطل